



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة

أبريل ٢٠٢٠ م

ألمنا

أختي العزيزة في المسيح

عندما كنت طفلة، كان التطعيم هو أكثر ما يرعبني. تصوري معي طفلة في السابعة من عمرها تقاوم الممرضة وتصرخ وتبكي لكي تتجنب التطعيم. لقد كانت تلك خبرة مؤلمة برمتها.

لقد ذهبت مؤخراً كشخص بالغ لسحب عينة دم. مازلت أكره الإبر، ولكنني استدرت وحاولت أن أذكر نفسي أن أتنفس وأن أكون شجاعة. لقد أصابتنى الدهشة عندما أخبرتنى الفنية أنها انتهت بالقفل من سحب العينة. لقد شعرت بالكاد بوخز الإبرة.

لقد أخبروني في سن السابعة أن الإبرة لا تؤلم بالمرة. لكنه كان أمراً صعباً بالنسبة لي كطفلة أن أستوعب أن غرز شيئاً حاداً في الجسم هو فكرة جيدة، وأنه من المفيد التعامل مع الأمر بهدوء.

هذه يا أختي هي المشكلة مع الألم. إننا في مرات كثيرة نبذل مجهود بشكل خاطئ لكي نتجنبه وينتهي بنا الأمر إلى أن نجعل الخبرة أسوأ من المطلوب. كثيراً ما نفشل في رؤيته كفرصة وبسبب ذلك نفشل في النمو في الإيمان والصبر.

لا يمكن تجنب الألم

العالم المحيط بنا هو عالم مكسور وساقط. لقد انحرف عن الخطة الأصلية التي وضعها الله لنا. لقد حذرنا أن الألم والصعوبات هي جزء من هذه الحياة الأرضية لا يمكن تجنبه.

لقد قال لحواء: "تكثريراً أكثر أتعب حبلك"، ولآدم قال: "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك" (تك ٣: ١٦-١٧).

أحياناً ما نفعل المستحيل لكي نحصل على مكافآت السماء، أي الحياة السماوية، الآن.

عندما نحاول تجنب شيء هو جزء طبيعي من واقع الحياة الأرضية، نجعل الحياة أكثر تعاسة. عندما نرفض فعل ما هو شاق ونحاول أن نتخلص من الألم بملذات باطلة، فإننا نجلب على أنفسنا بغير قصد المزيد من المصاعب. يشبه الأمر مقاومة تلقي التطعيم فننجرح بالإبرة ونصاب بكدمات بسبب الأيدي التي تمسك بنا.

تصوري أنك على خلاف مع شخص ما. إنك تشعرين بالغضب والخذلان. يمكنك أن تحاولي العمل على مشاعرك بطريقة مستقلة، ولكنك أحياناً ما تشعرين بالحاجة للتحدث مع ذلك الشخص. الآن تخيلي أنك تعلمين أنك تحتاجين إلى التحدث ولكنك تتجنبين ذلك. إنك تختلفين الأعدار لكي لا تلتقي بهم لأنك تحاولين جاهدة ألا تواجهين مشاعرك. لا يمكن أن تنتهي مثل تلك القصة بشكل جيد.

أو تصوري أنك تتألمين بسبب موقف صادم. فبدلاً من الانتباه إلى مشاعرك، ومواجهتها، والتحدث مع المشير أو المعالج أو المرشد الروحي، والتضرع إلى الله لكي يرفعها، فإنك تبدئين في عمل شيء ما لا ينبغي عليك أن تفعله. فتبدئين في تناول الطعام بشكل مبالغ فيه، أو مشاهدة التلفزيون بطريقة محمومة، أو التحدث في التلفون والنميمة بدون توقف. إنك تفعلين أي شيء لكي تتجني التطلع إلى ألمك والعمل عليه.

إنك بذلك تخلقين لنفسك على المدى البعيد ألماً أكثر مما لو كنت دخلت إلى أعماقك، ولجأت لله طالبة العون، وتعاملت مع جذر المشكلة. لا يمكنك أن "تلقى كل همك عليه" (١ بط ٥: ٧) لو كنت مشغولة بالتظاهر بعدم الاكتراث وتضميد حياتك بحلول مؤقتة.

الألم هو جزء لا يتجزأ من الحياة. فكلما قبلنا ذلك بسرعة كلما بدأنا في التطلع إليه على أنه فرصة.

الألم فرصة

تصوري شخص يعيش في هذا العالم المكسور ولا يستطيع أن يشعر بالألم الجسدي. سوف يكون ذلك الأمر خطير جداً. يوجد مرض وراثي نادر اسمه "عدم الحساسية الخلقية للألم مع عدم التعرق" يجعل الشخص غير حساس للألم. الطفل المصاب بهذا المرض قد تنكسر إحدى عظامه أو يحترق بدرجة خطيرة دون أن يلحظ ذلك بالمرّة. حتى الجروح الصغيرة قد تصبح جروحاً ملوثة مسببة مشاكل كثيرة لأنهم ينقصهم الاعتناء الفطري بإصاباتهم. يكون الشخص المصاب بهذا المرض في خطر دائم.

الآن تصوري حياة لا تشعرين فيها بالألم النفسي؟ سوف تكون نفس المشكلة. فلو كان شخص قريب منا مصاباً أو في خطر فبدلاً من أن نحري لطلب المساعدة فإننا لن نشعر بشيء. عندما يموت شخص نحبه فإننا لن نبكي أو نفتقده ليس لأن سلام الله يحفظ قلوبنا ولكن لأننا متبلدون!

الألم هو عطية من الله لحمايتنا، ولتوجيهنا. إنه يسمح لنا بتلك المشاعر من أجل فائدتنا. إنه يجعلها جزءاً من خطته الخلاصية لاستعادة صورته فينا.

فكري في السيد المسيح على عود الصليب وهو متألم من أجلنا. إنه لكي يفدينا، حمل ألماً وسمح لنفسه، الذي هو الله الكائن، أن يشعر بما نشعر به أي بالضرب، والاحتقار، والتخلي. "وبحبره شفيانا" (أش ٥٣: ٥).

يحول الله الألم الذي هو جزء لا يتجزأ من هذه الحياة إلى فرصة.

النمو أثناء المحنة

إن استجابتنا للألم هي الفاصل. هل سوف ننكمش ونندوي بعيداً ونعيش في خوف وتجنب؟ أم سوف ندخل إلى العمق ونتعلق بالمسيح ضابط الكل وننمو؟

دعونا نعطي وقتاً كافياً لمعالجة ألماً. عادة ما يكون تقبل الألم والكف عن مقاومته هو الخطوة الأولى نحو الشفاء. يستطيع الرب أن يجعل ألماً مفيداً بواسطة ذلك.

تحتاج نبتة الطماطم لدعامة أثناء نموها. تُستعمل الأوتاد والدعامات لتوجيه الكرمة. أحياناً ما ينبغي قطع الأجزاء المريضة من النبات وتقليم الأجزاء السليمة للحصول على أكبر محصول. الله العالم بكل شيء يستطيع تحويل ألماً إلى أوتاد ودعامات حتى نتمم قصده في حياتنا. على الرغم من أنه لم يخطط أبداً أن يجعلنا نتألم إلا أنه سوف يحول الألم الذي نواجهه إلى خير.

لقد واجهت صديقة لي مؤخراً أزمة في أسرتها. كل ما أرادت فعله كان الاختباء من الألم والتظاهر بعدم وجوده. ولكنها بدلاص من ذلك، جلست في صمت مع الله متضرعة إليه. لقد سمعت صوته يكلفها بمهمة معينة لكي تساعدنا في هذا الوقت. وعلى الرغم من أن مواجهة الأزمة كانت مثل ضرب السوط إلا أنها استطاعت بنعمة الرب أن تستدير نحوه وليس بعيداً عنه. لقد تعافى الجرح بشكل أسرع وتعلمت ألا تفقد الرجاء في محنتها عندما قبلت الألم وخضعت لإرادته.

إننا نعرف وعد الرب ونصدق أنه في النهاية عندما يُستعاد العالم المكسور ويأتي ملكوت الله على الجميع "سيمسح كل دموع من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت" (رؤ ٢١: ٤). حتى يحين ذلك الوقت، سوف نثق أنه سوف يجعل "كل الأشياء (بما فيها ألمانا) تعمل معاً للخير" (رو ٨: ٢٨)

أختك في المسيح

ني - ني